

## فيكتور هوكو

( احتفال الفرنسيين لئذ باليوبيل القرني )

احتفل الفرنسيون في اوائل سنة ١٩٠٢ للشاعر فيكتور هوكو في البانتيون كما احتفوا في اواخر العام السابق بيوبيل الكياوي برتو في الصوروبون • والبانتيون هيكل نعيم على رابية من روابي باريس بالقرب من الصوروبون • وهو اليوم مدفن اعظم الرجال الذين يعترف لهم الوطن الفرنسي بالفضل والحنى

في السادس والعشرين من شباط الماضي ( فبراير ) الموافق لحتم القرن الاول من ميلاد فيكتور هوكو ابتداء موسم الاحتفال بيوبيل هذا الشاعر واجتمع في البانتيون الرؤساء والسفراء والعلماء والشعراء والمنشخصون والمنشخصات وكل من اشتهر في باريس من الرجال والنساء واكثرهم بالاليسة الرسمية والعسكرية والكساوي العلمية والقضائية موشحون بوسامات الافتخار او متسقطون بمناطق الحرير المثلثة الالوان او مكتفون بزبن صدورهم بازرار الوسامات و اشارات المداليات على اختلاف درجاتها واشكالها • وافتتح هذا الاحتفال الموسيو جورج ليغ ناظر المعارف الفرنسية بخطبة شائقة

وتلاه في الخطابة السياسي الشهير الموسيو غابريل هانوتو بالنيابة عن الاكاديمية الفرنسية فاخطب الاسماع بجواهر لفظه واجتذب القلوب ببلاغة معانيه فانتقل كلامه بالتلغراف والتلفون لجميع المدن الفرنسية وربما تجاوزها الى كثير من البلاد الاجنبية • لان الموسيو هانوتو بعد ان حاز قصب السبق في ميدان السياسة وحل عقدة ماداغشكر وألحقها ببلاده وفك العراقيل السياسية في افريقية الغربية ونهر النيجر تنجي عن كرسي الوزارة وقد شغله مدة تزيد على اربع سنوات وجلس على كرسي الاكاديمية واقبل على نشر الكتب وطبع المقالات التي اشتهرت في العالم كله وكان لها شأن في مصر وغيرها من بلاد الشرق • وهو على رفعة قدره وعلو شأنه لم يزل كما كان في صباه مقيماً في الطابق الخامس من بيت يستطرق بابه على بولفار سن جرمن ويصعد الى مسكنه بدون مصعدة ( اسانسور ) مائة درجة

ثم أشد بعض الشخصين والممثلات شيئاً من قصائد فيكتور هوكو وتلوا جزءاً من

احاديثه وانفض الجمع ليستأنفوا الاحتفال في مواضع أخرى من باريس لان حفلة الباتيون لم تكن الا افتتاح موسم ادبي في عموم البلاد الفرنسية ودامت الزينات والافراح فيها سبعة أيام بليانها وهم في كل يوم ليلة يرفعون الاعلام ويضيئون الانوار ويجمعون الجموع ويلقون الخطب ويأدبون المادب ويشربون النخب ويمثلون على المراسح الروايات وينشدون الاناشيد ويحرون المقالات المتكثرة ويصورون الرسوم البديعة ويعملون انواعاً كثيرة من المظاهرات والزينات احتفالاً بهذا الموسم وقرّر مجلس نواب الامة اتفاق ثمانين الف فرنك لهذا الاحتفال عدا ما تنفقه مجالس البلدية والجمعيات الخيرية والعلمية مما يفوق اضعاف هذا المبلغ . فجاء هذا الاحتفال على ام منوال واحسن نظام لان الفرنسيين اقدر الامم المتقدمة على اتقان الزينات واتمام معدات الاحتفال للطافة اذواقهم وخفة ارواحهم وميلهم الى البهجة والزينة . وهم يتهاقون على تعظيم رجال العلم والادب ويبالغون في اجلالهم حتى كادوا يعبدونهم من دون الله ويتسكون في ادخار آثارهم وجمع مناقبهم وحفظ اخبارهم ورفع الهياكل والتماثيل والانصاب لهم . كان الواحد منهم معبود من معبودات قدماء المصريين أو الهة اليونان أو الفينيقيين . وهم والله اعلم يعتاضون بهذه الاحتفالاتهم عما فاتهم من الاحتفال بتويج الملوك ويوبيل القياصرة . وقد رفعوا فيكتور هوغو تمثالاً عظيماً بل تماثيل وسموا باسمه الشوارع والميادين واتخذوا داره متحفاً سموه باسمه وسيجمعون فيه متاع الشاعر واثاث بيته وكل ماله ادنى علاقة به او ذكر في اشعاره ولم يفرطوا بشيء من ذلك ولا اضعوا له قلماً ولا دواة ولا ورقة من الاوراق التي تعلم بها وهو في المدرسة وقد كتب على واحدة منها « اريد انكون شاتوبريان أو لاشي » ولا الاوراق التي كان يلعب بها اولاده ورسم لهم فيها الرسوم الهزلية والمضحكة ولا الكيس الذي وضع فيه مبلغ المائة وخمسة وعشرين الف فرنك ثمن المجلدين الاولين من تأليفه المسمى ميزيرابل

ولو أردنا وصف هذه الاحتفالات وايراد الخطب التي تليت فيها والاتيان على ما حررته الجرائد من الفصول الطوال لاستغرق الكلام مجلداً ضخماً لان هذه الاحتفالات كان لها رنة عظيمة في اوروبا كلها . وقد نشرت جريدة التيمس الانكليزية ترجمة هذا الشاعر بالفرنساوية اعظماً لشأنه لان شهرة فيكتور هوغو ليست في فرنسا وحدها بل هي طائرة في آفاق العالم المتمدن وقد وصلت الي بلادنا الشرقية منذ سنين . اذكر اني قرأت في « المقتطف » وهو لا يزال في سوربة اياتاً لفاضل من الادباء لخص فيها فكراً من

افكار فيكتور هوغو المذكورة في كتابه المشار اليه وصف بها حالة البائس المسكين الذي اشتدت حاجته واضطره الجوع حتى كسر قفل الخباز وأخذ رغيفاً لسد رمقه فانتبه له الخفير وانقض عليه انقضاض البازي على المصفور وقاده الى حبس التوقيف ثم رفعه الى محكمة العدل فلم يشفق عليه حكام المدلية ولا رحة قضاة الحقانية فارتعدت نفس الشاعر من هذا الظلم القاهر حتى صرخ قائلاً : « ابن العدالة في اوهام شرعكم »

ثم لما آتت الاستانة وجدت أدباء الاتراك وشعراءهم ترجموا كثيراً من نظم فيكتور هوغو ونثره فيما نشر من مؤلفات كمال بك وعبد الحق حامد بك واکرم بك ومدحت افندي صاحب جريدة « ترجمان حقيقت » سابقاً وفي « مجموعة ابو الضيا » و « كتبخانه ابو الضيا » وترجم شمس الدين سامي باشا صاحب قاموس الاعلام جزءاً كبيراً من كتاب ( ميزيرابل ) وسماه باضافة اداة الجمع التركية على كلمة ( سفيل ) العربية فقال « سنيلار » أي السفلة من الناس . ثم بانغني ان بعض ادباء مصر شرع في ترجمة هذا المؤلف الجميل وسماه « البؤساء » أو نحو ذلك فجمعت شيئاً من أخبار فيكتور هوغو ليحصل لنا علم اجمالي بترجمة حياته وحقيقة فلسفته وسبب شهرته

الدور الاول من حياته - من ولادته سنة ١٨٠٢ الى نفيه سنة ١٨٥٢

كانت فرنسا في افتتاح القرن التاسع عشر في هرج ومرج من هول « الانقلاب الكبير » الذي حدث فيها فغير معالمها وثل منها عرش الاستبداد وحرر العقول وبدل الظلام بالنور ووضع العدل في موضع الظلم وجرى بسبب ذلك من الفظائع الدموية ما تقشعر من سماع حديثه الجلود . لبث الانقلاب من سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٧٩٥ . ثم نبغ بونابرت واكتسح بالعساكر الفرنسية ايطاليا ثم مصر وفلسطين وطاف بها اوروبا من مشرقها الى مغربها وقهر الملوك والامبراطور والقيصر واستقدم البابا من رومية الى باريس ليلبسه تاج الامبراطورية ويسميه نابوليون الاول واجلس زوجته جوزيفين على سرير الملكة ماري انتوانيت ثم لم يستحسن التاج على رأسها لانها أرملة الجزال بوهارنه فابدها بمساري لويز بنت امبراطور المانيا وجعل أخاه الاكبر يوسف بونابرت ملكاً على نابولي ثم ملكاً على اسبانيا وحشد عساكره في هاتين المملكيتين . وكان سيجمبر هوغو والد صاحب الترجمة ضابطاً في عسكر الفرنسيين ومأموراً مع جنودهم بالمحافظة على بيزانسون وهي مدينة على طريق السكة الحديدية بين مرسيلا وباريس

وكان ابوه نجاراً وجده فلاحاً

وفي ٢٦ شباط سنة ١٨٠٢ وضعت امرأته ماري في تلك المدينة غلاماً نحيفاً ضعيفاً فقيدة في سجل نفوس البلدة باسم « فيكتور ماري هوكو » وكان له ولدان اكبر من فيكتور أحدهما يسمى أيل والآخر أوجين . وبعد شهرين من ولادة فيكتور تلقى والده الامر بالمسير الى جزيرة كورسيكا ومنها الى جزيرة ايليا فحمل اليها امرأته واولاده واقام فيها الى سنة ١٨٠٥ . ثم دعي سيجسبر هوكو الى باريس فذهب اليها بعائلته ودخل في خدمة الملك يوسف بونابارت ورافقه الى نابولي ومعه عائلته فشهد فيكتور بركان فيزوف وهو في السادسة من عمره وانطبعت في ذهنه صورة هذا الجبل وما يتصاعد من فوهته من الالهب والدخان . وارتسمت في مخيلته مناظر ايطاليا الطبيعية وجوها الصافي . فاما كبر ونظم هذه الرحلة وصف هذه المناظر في اشعاره أحسن وصف

ولما ذهب يوسف بونابارت الى اسبانيا ليلبس فيها تاج الملك اصطحب سيجسبر هوكو وعاد فيكتور مع أمه وأخويه الى باريس وسكنوا في دير فيليباتين بجوار مدرسة الطب العسكرية التي يقال لها « فال دوغراس » وهي قريبة من البانتيون . فكان فيكتور يقرأ مع اخويه اشعار فرجيل على راهب متضلع في الاداب اللاتينية واستمر على ذلك الى سنة ١٨١١ وقد ترقى والده وصار قائداً على الجيش وبلغ راتبه الى ثلاثين الف فرنك اسبانبولي ( ريوس ) ومنحه الملك يوسف لقب كونت وعينه ناظراً على مطبخه العام . فاحضر حينئذ امرأته وأولاده الى مدريد . فاستفاد فيكتور هوكو من هذه الاسفار فوائد كبيرة وتمكن مع حداثة سنه من مراقبة جمال الطبيعة وحفظ أسماء المدن والبقاع التي مر بها . وشاهد في قصور مدريد آثار العمران الشرقي وصور أعظم الرجال الذين قامت بهم القرون الماضية فالتسعت مخيلته وانفتق ذهنه ونفح بنفحات شعرائنا الاندلسيين فرقت الفاظه وراقت معانيه وظهر النفس الاندلسي في اشعاره وسمعت النفحة الاندلسية من اكثر قوافيه وذكر في قصيدته التي سماها غرناطة اكثر مدن الاندلس ووصف ما فيها من المباني والقصور وذكر في غير هذه القصيدة جميع المدن التي مر بها في طريقه مثل ايرون وعين العرب التي يقال لها اليوم « فونت أرابي » وقلعة ايرناني وجعل اسم هذه القلعة عنواناً لرواية من رواياته . ودخل وهو في مدريد مدرسة أولاد الاشراف وخالط فيها أبناء الامراء من الاسبانيوليين وعرف اخلاقهم وعاداتهم فنظمه في رواية ( ايرناني ) و ( ريوبلاس ) وغيرها من مؤلفاته واستعار أسماء كثير من رفاقه ليخصمهم في قصصه

ورواياته وكان يدقق في احوال الجند ويتأثر باصوات ابواقهم وصدى موسيقاهم فأبدع في وصف حركاتهم العسكرية وفتحهم القلاع ونزلهم مساءً ورحيلهم صباحاً وسيرهم ليلاً الى غير ذلك من الاوصاف التي شخص بها حال العساكر تشخيصاً تاماً

ولما انقلبت السياسة في اسبانيا واشتد الخطر على عساكر الاحتلال اعاد الجنرال هوغو عائلته الى باريس ولم يبق عنده الا ابنه الاكبر ايل فأدخله في خدمة الملك ورجع فيكتور هوغو مع امه واخيه الى الدير الذي كان فيه وعكف على مطالعة ما عند امه من الكتب كوثائق فولتير وجان جاك روسو وديدرو احد مؤلفي الانسكويدي ووثائق السائح كوك وغيرهم . وكان لامه الفة بعائلة فوشراحد مستخدمي نظارة الحرية فكانت مادام فوشر تكثر التردد عليها ومعها ابنتها الصغيرة عادلته ( اديل ) لتلعب مع فيكتور واخيه اوجين وتستنشق الهواء الصافي في بستان الدير . ولما ضبطت الحكومة هذا الدير في جملة ما ضبطته من املاك الرهبان سكنت زوجة الجنرال هوغو بالقرب من دار فوشر فكثرت اختلاط فيكتور هوغو بعادله والنها حتى صارت فيما بعد زوجته

ولم يمض كثير من الزمان حتى اشتدت الازمات السياسية وتوالت الحوادث المرهبة وعاد نابوليون بالحلية من سفر موسكو وعاد اخوه يوسف بعساكره من اسبانيا ومعها الجنرال سيغبر هوغو فالتمس الرجوع لما موربته والدخول في سلك العساكر الفرنسية فلم يقبلوه الا برتبته السابقة . وبعد ان دارت الدائرة على نابوليون الاول وحبطت اعمال الحكومة الامبراطورية وعاد آل بوربون الى كرسي المملكة الفرنسية تقرب الجنرال هوغو الى لويس الثامن عشر وتلقى اليه حتى صار من المقربين لديه نفع عليه رتبة الجنرالية وسله قيادة العسكر . فاراد ادخال ولديه الاصغرين في هذا السلك كما ادخل اخاهما الاكبر من قبل فوضع فيكتور واخاه اوجين في مدرسة ( لوي لوغران ) ليدخلها فيما بعد مدرسة الفنون الحربية وهما من المدارس التي لم يزل يتردد اليها بعض ابناء الشرق في باريس . فاقبل فيكتور هوغو على تحصيل العلوم الرياضية ولم يترك مع ذلك نظم الاشعار فنظم عدة قصائد في الغزل والمدح والهجو والهزل والرتاء وقصيدة في الطوفان ولم ير مبانة بين العلوم الرياضية المبنية على حقائق برهانية وبين علوم الشعر التي كان يظنها الناس خيالات باطلة واهاماً كاذبة وان اعذب الشعرا كذبه . بل كان يعتقد بان الشاعر لا بد له من تعلم العلوم الرياضية والطبيعية وكان يعتبر تصور حوادث الكون وتخييل مناظر الطبيعة وجمع معاني ذلك في الدهن ثم افراغ المعاني في قوالب الانفاظ ونسجها في ابيات الشعر كل

ذلك اشبه بتصوير المسائل الحسابية والهندسية وحل المعادلات الجبرية . ولذا قال بان صباه لم يكن الاتحيالاً طويلاً ممزوجاً بدرس مدقق وان لا مباينة بين التدقيق والشعر لان القواعد الرياضية تطبق في الشعر كما تطبق في العلم وقال ايضاً « ان الكلمة كأن حي - فاعلموه »

وكان شاتوبريان من افحل ادباء العصر وله مؤلفات جلييلة في النظم والنثر وقد طاف بلاد الشرق وزار مصر وسوريا واليونان والى بعد ذلك كتابه المسمى ( روح النصرانية ) وبجث عن حكمة الديانة المسيحية فطالعه فيكتور هوغو واعجب به وتشرب منه آراء المذهب الكاثوليكي وسياسة الحزب الملوكي فكتب على دفتره وهو في المدرسة بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨١٦ « اريد ان اكون شاتوبريان او لاشي » . وبعد سنة من هذا التاريخ فتحت الاكاديمية الفرنسية مسابقة للشعراء وجعلت موضوع السباق « فوائد المطالعة » فنظم فيكتور هوغو في هذا المعنى ٣٢٠ بيتاً عرضها على لجنة التحكيم ولم يكن له من العمر الا خمس عشرة سنة فاستحسنوا ابيانه واستصفروا سنه وظنوه سارقاً شعره فلم يعطوه الجائزة واكتشفوا بقيد اسمه في دفتر الشعراء . وفي السنة التالية بعث الى جمعية « لعب الازهار » - وهي جمعية ادبية تأسست قديماً في طولوز - القصيدة التي سماها « عذارى فيردون » وتشب فيها بنات تلك المدينة التي على الحدود الالمانية وبعث ايضاً بقصيدة اخرى في مدح هنري الرابع فنال بها جائزة الجمعية . وفي سنة ١٨١٨ اكمل فيكتور هوغو دروسه في مدرسة « لوي لوگران » واستنكف من الدخول في امتحان المسابقة لاجل قبوله في المكتب الحربي وكتب لايه بانه عدل عن سلك العسكرية واتخذ الشعر صنعة يتعيش منها وان لا حاجة له بالراتب القليل المعين له واقبل على الجد والاشتغال ومثابرة الاعمال واشترك مع اخيه الكبير ايل وكان له مشاركة في علوم الادب فأسس جريدة ادبية عنوانها « المحافظ الادبي » ونشر فيكتور هوغو الاشعار البديعة والمقالات الانتقادية

وكان لويس الثامن عشر الذي جلس على سرير الملك سنة ١٨٢٤ عاقلاً ماهراً لم يصغ لاقوال الذين يريدون اظناء نور العلم والحرية واعادة المظالم القديمة بل اعطى الشعب حقوقه وسن لبلاده القوانين وكان ولي عهده اخاه شارل العاشر وله ولد اسمه دوك دوبري قتله احد الرعاع وهو خارج من مرشح الاوبرة سنة ١٨٢٠ وخلف دوك دوبري طفلاً صغيراً اسمه دوك دوبوردو ونشر فيكتور هوغو في جريدته قصيدة هنا فيها بالمولود واخرى رثى فيها الوالد والقصيدتان موافقتان لسياسة الحزب الملوكي فاستحسنهما لويس الثامن عشر

واجازه عليها بنحسائة فرنك . وفي تلك السنة بعث فيكتور هوغو الى جمعية لعب الازهار في طولوز بالقصيدة التي عنوانها « موسى على النيل » فكافأته عليها بالمداية الذهبية وكانت على شكل الزهرة ونحته لقب الاستاذ في جمعيتها

فاشتهر هوغو وانتشر شعره ولقبه شاتوبريان بالولد الخيب وفتحت الشعراء له ابوابها فتعارف على الفرد دو فينيه ولا مارتين . مؤلف « الرحلة الشرقية » وسومه واهيل دوشان وغيرهم من شعراء العصر ونقول ادبائه وفرح به جميع المنتصرين للحرب الملوكي لانه على مذهبهم السياسي ودينهم الكاثوليكي وترنموا بأبياته في مجامعهم وانشدوا قصائده في نوادي سمرهم وكان ينظم لهم القصائد الهزلية والمدائح الملوكية على ما يوافق مشربهم مثل « التلغراف » و « المقيد السياسي » و « القريجة » وغيرها

فالتشرح صدر الشاعر بهذه الشهرة وارتاح باله من جهة تأمين معاشه في المستقبل ولعب الهوى في رأسه فرأى بجانبه صاحبه من الصغر قد انتقلت الى سن الشباب وانتصبت قامتها كالغصن ولبست اثواب الجمال والحسن فهام في حبها واراد الاقتران بها فنعتته امه لفقر البنت وعدم وجود مهر كاف ( دوته ) معها وقطعت علائقها مع عائلة فوشر فتألم الشاعر بألم الفراق واخذ يرسل حبيبته برسائل الحب والاشتياق ونشرت هذه الرسائل بعد موته تحت عنوان « مراسلات الخطيبة »

وفي سنة ١٨٢١ توفيت والدته فحزن عليها حزناً شديداً لزيادة حنوها عليه وكثرة احسانها اليه . ولم يمض شهر على وفاتها حتى تزوج والده بواحدة من الغنيات الشريفات لقله وارده وكثرة نفقاته وبقي فيكتور هوغو وحيداً فريداً وانتقل من الدار التي كان فيها مع امه الى مسكن صغير وتضايق في امر معاشه لقله ما في يده ولاحتياجه ان يدبر له البيت ويهيئ له الطعام . واخذ ينفكر في معشوقته وفي الوصول للاقتران بها لان اباه افتقر بعد سقوط الحكومة الامبراطورية وابو حبيبته لم يكن من اصحاب الثروة العظيمة فاجتهد فيكتور هوغو في تحصيل المال واقبل على النظم والتأليف ونشر سنة ١٨٢٢ ديوان قصائده فكان له رواج عظيم وقراه لويس الثامن عشر واعجب به واحسن على الشاعر من خزينته الخاصة براتب سنوي قدره الف فرنك فافترح الشاعر بهذا المعاش وتزوج بعادلة فوشر ولها من العمر ١٩ سنة . وبيناهم في حفلة العرس على مائدة الطعام نهض اخوه اوجين واجرى افعالاً منكراً وفاه بكلام غير معقول فحملوا ذلك اولاً على اكثره من شرب المدام وذهبوا به الى بيته وفي الصباح وجدوه نخل الشعور وفهموا انه يجب عاقلة شعبة

شديدة وكان يخفي حبها فلما تزوجت بأخيها هاجت عواطفه وذهب عقله فوضعه في  
بيارستان سارانتون وهو في ارباض باريس واستمر فيه الى ان مات . وكانت عادلة بديعة  
الحسن رقيقة الحواس غير انها بسيطة الذكر غير مفرطة الذكاء وكان زوجها متياً في حبها  
فسكن مدة عند صهره ولما بلغ راتبه من المالك ٢,٠٠٠ فرنك في السنة خرج بها من دار  
ايها وسكنها في بيت على حدة فولدت له اولاداً كبروا وماتوا في حياته وهم ليو بولدين  
ماتت غريقة في نهر السين وشارل مات فجأة عند صاحبة له في بوردوا وفرانسوا مات في  
باريس وعادلة تزوجت على كره من ايها واصيبت بداء الجنون مثل عمها وفي لم تزل في  
قيد الحياة فكانت هذه المصائب باعثة على نظم القصائد التي عنوانها « اولادي » ورتام  
ايضاً في كتاب « التأملات » وغيره بأرق المراثي . وكان موحداً في الاعتقاد ولم يتبع  
مذهب المسيحيين في البقاء على زوجة واحدة بل شغف بمد ذلك بحب احدى المثلثات  
واسكنها مع زوجته وعمل عمل القائلين بتعدد الزوجات مع رعايته واحترامه لزوجته الاولى  
واخذ فيكتور هوغو يحرر في مجلة « الموز الفرنسية » التي انشأها الاديبان سومه  
وديشان ويتردد على بيت شارل نوريه وكان هذا الفاضل مديراً لمكتبة ارسنال وهي  
احدى المكاتب الاربع الكبيرة في باريس . ونال معاشاً وافراً بسبب هذه الوظيفة وفتح  
بيته للعلماء والشعراء حتى صار مجمعاً للادباء واسسوا فيه سنة ١٨٢٤ جمعية ادبية على الطرز  
الجديد . وفي هذه السنة توفي لويس الثامن عشر ولبس اخوه شارل العاشر تاج المالك فدحه  
الشاعر بقصيدة عنوانها « التتويج » فحازت القبول وانعم عليه المالك بوسام الافتخار من رتبة  
شيفاليه كما انعم بذلك على الشاعر الشهير لامارتين . ولما نشر فيكتور هوغو ديوانه في  
المدح والغزل وحاد فيه عن مسلك الشعر القديم المسمى ( كلاسيك ) وسلك في النظم  
مسلكاً جديداً انتقد عليه اصحاب الطريقة القديمة وعلقوه بالسنتهم . ونشر الشاعر  
« سنت بوف » في جريدة الغلوب بتاريخ ٦ كانون ثاني سنة ١٨٢٧ مقالة انتقادية كانت  
سبباً لتحويل انظار الناس الى الطريقة الجديدة ولتعارف الشعراء حتى صار من اعز  
الاخوان . وكان شارل العاشر قد حاد عن طريقة اخيه العادلة في سياسة الملك ومال  
الى الاستبداد فنفر منه الادباء والاحرار واغتم سفير النمسا في باريس هذه الفرصة وندد  
في امراء العساكر الذين خدموا مصالح نابوليون الاول واهانهم في الكلام فانتصر لهم  
فيكتور هوغو لان اباه كان في زهرتهم ونظم قصيدة في مدح « العمود » اي العمود الذي  
رفع لنابوليون في ميدان فاندوم وطلي بنحاس المدافع التي غنمها في حروبه ونقش عليه اسماء

المواقع الحربية والامراء العسكرية . وكان الشاعر في ذلك التاريخ قد بلغ سن الرجولية وهو السن الذي يتأهل فيه الرجل لحقوق الانتخاب فظن كبقية ادباء العصر المتخوفين من استبداد شارل العاشر ان الحكومة الامبراطورية اكثر عدلاً وحرية من الحكومة الملوكية ولذا اقبل على اظهار فضل نابوليون واشهار مجده بدون ان يتعرض بالقبح لآل بوربون . ونشر عقب مدحه العمود قصة كرومول . وشرح في مقدمتها طريقته الجديدة في علم الادب وشكل جمعية من انصار هذه الطريقة وفي مقدمتهم الفرد دوفينه وسنتابوف واميل دوشان والكساندر دوماس وبولانجه وغيرهم مثل لامارتين وسماو طريقتهم « رومانتيك » كما كان المتقدمون يسمون طريقتهم « كلاسيك » وصار فيكتور هوكو امام المدونين في هذه الطريقة الجديدة فانتقد عليه الكثير من ارباب السياسة وحملة الاقلام ولاموه من وجهين احدهما مدحه نابوليون واشهاره مجد الحكومة الامبراطورية وثانيهما لعذوله عن مذهب الشعر القديم وسلوكه في النظم والنثر مسلماً جديداً . غير ان الشاعر لم يصغ للوم اللاتئين واستمر يتردد على بيت صاحبه شارل نوريه وينشد قصائده امام الحاضرين . ويستميلهم لطريقته واحداً بعد واحد ولما اتجهت انظار العموم نحو الشرق بسبب ثورة اليونان وذهاب العساكر المصرية للموره وغدر الدول في وقعة نافارين نشر فيكتور هوكو ديوانه المترجم « بالشرقيات » ولم يزر الشرق ولا رأى نساءه مثل شاتوبريان ولا مارتين ولكنه درس احواله درساً مدققاً وقرأ ما ترجم من كتب ادبائه مثل كلستان سعدي وديوان حافظ شيرازي وما ترجم من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فراج ديوان الشرقيات لحدثه موضوعه وبحث فيه عن الممالك العثمانية والعوائد الشرقية وعن بلاد اليونان وابتاليا واسبانيا وكانت النفوس متشوقة للاطلاع على ما في زوايا الشرق من الخبايا

ثم نشر قصة عنوانها « آخرايام المحكوم عليه » وصور فيها الاضطراب الذي يحصل للمتقولات قبل قتله . وفي سنة ١٨٣٩ وجه الشاعر التفاته نحو المرسح الفرنسي ( كوميدي فرانس ) وشرع في اكتساب الرزق من تحرير الروايات المحزنة التي يسمونها « درام » وحرر رواية « ماريون دولورم » وهي غانية من غواني باريس احبها احد الرهبان وكان لها نبأ عجيب على عهد لويس الخامس عشر ولما اراد مدير المرسح تشخيص الرواية منعه المراقب فرفع الشاعر شكواه من ظلم مراقب المطبوعات الى الملك فلم يأذن له بتشخيصها ومع ذلك قرّبه اليه ولاطفه بالكلام وقال « احب قريحتك الشعرية وليس عندي اشعر منك ومن ديزوجيه » وزاد في راتبه حتى ابلغه ٤,٠٠٠ فرنك فرفض فيكتور هذا الراتب مع

شدة احتياجه اليه وشرع في تحرير رواية « ايرناني » فأكملها في بضعة اسابيع وشخصت على المسرح الفرنسي ليلة ٢٥ شباط سنة ١٨٣٠ واشتد بسببها القيل والقال وعلا في المسرح الصغير والجدال بين اصحاب المذهب القديم والمذهب الحديث في علم الادب وتمّ النصر في تلك الليلة لهوكو وشيعته ولم يبق معه من النقد سوى خمسين فرنكاً فتقدم اليه ملتزم الطبع وبارك له بنجاح الرواية ونقده في مقابلة حقت طبعها ستة آلاف فرنك واستلم منه النسخة الخطية وعقد معه مقابلة على تحرير قصة « نوتردام دو بارى » وتسايمها في ظرف ستة اشهر فاكب الشاعر على المطالعة والتحرير واكل القصة قبل انتهاء الاجل المحدود فطبع وكان لها رواج عظيم واسم الرواية مأخوذ من كنيسة باريس الجامعة وهي بناء نجيم بالقرب من دار البلدية ودار الحفانية

ولما اصدر شارل العاشر امره بالغاء الحرية التي منحها سلفه للشعب وتعتييل احكام القانون الاساسي هاج اهالي باريس وحدث انقلاب تموز سنة ١٨٣٠ وسالت الدماء في العاصمة ثلاثة ايام بلياليها ففر شارل العاشر من فرانس وتنازل عن الملك لابنه وولي عهده دوك انكوليم — وانكوليم بلدة بين بوردو وباريس — غير ان هذا الدوك استعفى ايضاً وانتقل الملك بالارث الشرعي الى دوك بوردو وهو حفيد شارل المشار اليه . فالجمهور من الفرنسيين لم يلتفتوا الى حقوق هذا الصبي وانتخبوا ملكاً عليهم لويس فيليب ابن عم شارل العاشر لقبوله اعطاء الاهالي حقوقهم وتعهد بحماية القوانين . فهو كـ شاعر الملك والمدافع عن حقوق الملكية وناظم القصائد الغراء في ولادة دوك بوردو صاحب الميراث الشرعي وفي رثاء ابيه دوك برّي — لم يهتز لهذه الحوادث بل اظهر استخسانه ما فعله الشعب ولم يعبا بالمسائل السياسية وظل يشتغل في فنون الادب فنشر ديوانه المسمى « أوراق الحريف » وشخص على المسرح الفرنسي سنة ١٨٣١ رواية ماريوم دولورم التي منع تشخيصها سابقاً ثم رواية « الملك يتسلي » وهي رواية تاريخية موضوعها فرانسوا الاول الذي التجأ الى ساكن الجنان السلطان سليمان القانوني من شر عدوه شارل كين . فنفع مراقب المطبوعات اعادة تشخيص هذه الرواية لتعريض فيها بالملوك فرفع الشاعر شكواه الى محكمة التجارة ودافع عنها بنفسه امام المحاكم فلم يسمحوا له بالتشخيص . ولم يجر تشخيصها مرة اخرى الا سنة ١٨٨٢ وكان الذي رجه فيكتور هوكو من مؤلفاته كافياً لانقاذه من مخالب الفقر وسعادة حاله ففتح بيته للزائرين حتى صار مجمع الادباء ومركز الشعراء وفي جملتهم الكاتب الشهير تيوفيل غوتييه الا ان الشقاق وقع

بينه وبين صاحبه القديم الكساندر دوماس ودام الحُصام أعواماً كثيرة لان غيرة الشعراء والعلماء بعضهم من بعض اشد من غيرة الامراء . .

وجفاء أيضاً حبيبه سنت بوف الماهر في فن الانتقاد وقال عن مؤلفاته بلها ممزوجة بأراء السياسة الملكية والديانة الكاثوليكية والفلسفة السيمونية — وهي التي وضعها الكونت سن سيمون في أواخر القرن الثامن عشر وفرض فيها تعلم الصنائع على كل فرد من أفراد الأمة فلم يتبعه الا القليل من الناس مثل كارنو والد رئيس الجمهورية الاسبق — فعمل برأيه ومع جلاله قدره جعل احد اولاده نجاراً والآخر مهندساً وكلاهما من اكابر رجال الدولة . ثم الف فيكتور هوكو رواية « لوكريس بورجيا » وهي أخت قيصر بورجيا المشهر بالاسراف وفساد الاخلاق وكانت بديعة الحسن ولها حديث غريب فشخصت هذه الرواية في ٣ فبراير سنة ١٨٣٣ فاقبل الناس على استماعها ثم شخصت مراراً على المسرح الذي بباب سن مارتن وكانت الممثلة التي شخصت دور الاميرة نيكروني هي ماد موازيل جوليت دروّه التي سبت الشعراء بحسبها وعقلها فشغف فيكتور هوكو بحبها وبعد ان تردد على بيتها كثيراً اسكنها في بيته عند زوجته فلامه أحد أصحابه فحرر اليه يعتذر بان زوجته اذنت له وسأحته على ما فرط به من حب جوليت ولم تزل زوجته تحبه وتعزه . واستمرت في صحبة الشاعر ورافقته في منفاه وكانت تحرر له القصائد وهو يمي عليها ودامت معه الى بعد وفاة زوجته ورافقته أيضاً في سن شيخوخته ونشر فيكتور هوكو أيضاً رواية « ماري تيدور » وهي ملكة الانجليز ورواية « انجلو » وهو أمير ظالم من امراء الطليان ورواية « ربوبلاس » وهو اسم خادم الوزير الذي خدعت به ملكة اسبانيا وكثيراً ما تشخص اليوم على المراسح الفرنسية هي ورواية ( ايرناني ) . ورواية « كلودكو » وهي مما ترجم من مؤلفات هوكو الى التركية وفيها دفاع بليغ عن المحكوم عليهم بالاعدام وتشنيع هذا القصص

ومما نشره في هذا التاريخ من الاشعار الموسيقية غير اوراق الخريف « اغاني الشفق » و « الاصوات الداخلية » و « الاشعة والظلال » وغير ذلك فصار فيكتور هوكو بهذه التأليف يعد من فحول ادباء العصر وانتسب لدوك أورليان وزوجته ووجه عليه لويس فيليب نشان الافتخار من درجة اوفيسيه واهداه صورته وانتخبته الاكاديمية الفرنسية عضواً في جمعيتها باكثرية صوتين فقط بعد ان عارض أعضاؤها زماناً طويلاً في قبوله لشدة تمسكهم بالقواعد واساليب الانشاء القديمة ولم يدخلوه بينهم الا بعد ان اشهر فضله

كالشمس في رابعة النهار • وسنة ١٨٣٩ ساح فيكتور هوكو في جبال الالب على حدود  
ايطاليا وسويسرا وشاهد مناظرها البديمة وزار بعد سنتين خفاف اليرين ودرس احوال  
بلاد الالمان وكتب سياحته في مجلدين نشرهما بعد موته وانف أيضاً رواية « بورغراف »  
التاريخية وبين فيها اخلاق امراء الالمان في القرون الوسطى فمشخصت على المسرح  
الفرنساوي سنة ١٨٤٣ ولم يقبل عليها الجمهور ولا حصل منها ارباح للمشخصين فتكرر  
الشاعر من سوء طالعته وعدل عن تأليف الروايات وترك رواية « التوام » التي شرع  
في تأليفها بدون ان يكملها • وكانت الافكار العمومية تحولت عن طريقة الادب الجديدة  
( رومانتيك ) وعادت للاقبال على طريقة ( كلاسيك ) القديمة لظهور بعض المؤلفات  
الجديدة فيها • وبمناسبة ذلك هزأت بعض الجرائد الهزلية بفكتور هوكو وصورته برأس  
كبير وهو واقف امام المسرح بجانب اعلان هذه الرواية ينظر الى السماء وقد طلع ذو  
ذنب وكأنه يناجي ربه وهو يقول « لماذا جمعت للنجوم اذناً وتركت البورغراف بلا  
اذناب » وتطلق كلمة بورغراف على ذوي الآراء السخيفة في ضروب السياسة والمقصود  
تركت الرواية بلا جمهور يزدحم على باب المسرح فيتألف منه ذنب طويل كما هي العادة  
في اقبال الناس على الروايات المهمة واصطفاقهم الواحد وراء الآخر لاشترائها اوراق  
الدخول • وخرج فيكتور هوكو من باريس الى جبال اليرينة على حدود اسبانيا يروض  
فيها افكاره ويزيل اكداره ولم يلبث فيها كثيراً حتى فاجأه مصابه بينته وكانت في التاسعة  
عشرة من عمرها وقد فارقتها وهي في اثواب العرس فخرجت بزوجها تنزهه في زورق  
على نهر السين في مدينة فيلكيه فانقلب بهما الزورق وماتا غريقين قبل ان يمضي على  
زفافهما اربعة اشهر وزوجها شارل فاكري هو اخ الاديب المشهور اوغست فاكري •  
فزاد كدر فيكتور هوكو واختبر بهذه المصيبة الام الحياة وهمومها ودخل الحزن قلبه  
ولعلمه افانين الرثاء فأجاد وابدع في المرثية التي نظمها واكثرها مدرج في كتاب « التأملات »  
غير انه من هول هاتين المصيبتين وهاموت ابنته وعدم رواج روايته يش في بادىء  
الامر من هذا العالم الفاني وانقطع رجائه بالله وضعف اعتقاده ورفض الشعر مدة  
وأقبل على الاشغال بالعلوم السياسية ودرس المسائل الاجتماعية فنشر كتاباً عنوانه  
« مكاتيب على اليرين » حاول فيه حل مسألة الموازنة الاوروباوية وتوهم تقسيم ممالك  
اوربا بين فرانس وبروسيا وأراد تقليد لامارتين في الدخول لميدان السياسة — لان  
الشاعر لامارتين بعد ان خدم طويلاً في كتابته السفارات الفرنسية وصار سفيراً في

طوسقانة واينة ترقى الى مسند الوزارة ولما زار الشرق نال شرف المنول بين يدي السلطان عبد المجيد خان وحاز على الالنفات الشاهاني واحسن اليه بأبعديه ( جنتلاك ) في ولاية ازمير فاقام فيها وحرر تاريخ الممالك العثمانية في ثمانية مجلدات - ففتح لويس فيليب باب الحكومة لفيكتور هوكو وعينه عضواً للمجلس الاعيان سنة ١٨٤٥ فجلس مع اصحاب اليمين وانضم لحزب الاكثرية وهو حزب الوزارة وقال بقولهم وتكلم في بعض المسائل فخطب خطبة في ( ماركة الفابريكات ) واخرى في « المسألة البولونية » ومدح البابا الحر وطلب ارجاع عائلة بونابرت فلم يكن لكلامه تأثير على اعضاء المجلس كما كان لاشعاره ورواياته تأثير في نفوس الجمهور عند صدورها على المراسخ من افواه الممثلين والشخصيات لانه لم ينل من القوة النطقية ماناله من القليلة والذكورية

ولما قوي حزب الجمهورية وحدث انقلاب سنة ١٨٤٨ وانزل لويس فيليب عن عرش الملك واعلنت حكومة الجمهورية الثانية على فرانسانتخب فيكتور هوكو عضواً في مجلس الامة من اباله السين واسس في تلك السنة جريدة الوقائع ( ايفينان ) وكتب عليها « البغض الشديد للفوضوية والهيام في الشعب والخنوع عليه » وكان يعينه في تحرير الجريدة ابناه شارل وفرنسا واصدقاؤه من افضل المحررين مثل بول موريس واوغوست فاكيري وتيوفيل غوتيه والبرلوقروا وغيرهم وكان المترشح لرئاسة الجمهورية اثنين وهما نابليون الثالث والجنرال كافينياك فمالت جريدة الوقائع في خطتها السياسية لنابليون لان فيكتور هوكو كان يترجم في قضايد « المدح في العمود » ويطرب لذكر مجد نابليون الاول ولذا فانه احب في بادىء الامر ابن اخيه نابليون الثالث وظن انه يتقرب اليه ويكون مستشاراً له فرجحه في الانتخاب على الآخر واكتسب نابليون الثالث اكثرية الاصوات وكانت تزيد على خمسة ملايين فاعلن رئيساً على الجمهورية واستلم زمام الادارة ولم يلتفت لفيكتور هوكو . فلما خاب ما امله الشاعر انقلب عن اصحاب اليمين الى اصحاب الشمال وصار من اكبر رؤساء الحزب المخالف فاتهمه العقلاء بانه مذنب يتردد بين اليمين والشمال ودافع عنه اصحابه بقولهم ان الشاعر لا يهتم بالاحزاب وانما يرى مصلحة الامة فيسير معها . وكان كلما خطب في المجلس خطبة شددوا عليه النكرو وذكروه بسوابق اعماله واشعاره . ولما تمت الرئاسة لنابليون مالت نفسه لبس التاج وشرع في اعداد المعدات وتهيئة الاسباب فتظاهر فيكتور هوكو له بالعداوة ونشر في تقييح سياسته فصولاً وعرض باسمه في جريدة الوقائع فسماه نابليون الصغير فاتهم مراقب الجرائد ابنيه المحررين لتلك الجريدة وحاكهما

والقاهما في السجن . ثم استبد نابوليون بالامر وجرى حادثة ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ والتي القبض على زعماء الحزب الجمهوري وجميع المتهمين بمخالفة السياسة الامبراطورية وكان اسم فيكتور هوغو في رأس قائمة المتهمين فساعدته حبيته الممثلة جوليت دروه على الاختفاء واستحصلت له على تذكرة مرور فخرج من باريس فارتأ وهذا تم الدور الاول من ادوار حياته الدور الثاني وهو مدة وجوده منفياً من سنة ١٨٥٢ الى رجوعه لباريس سنة ١٨٧٠ بعد ان فرّ فيكتور هوغو من باريس تجاوز الحدود الفرنسية واتى بروكسل عاصمة البلجيك وكان في غاية الضيق من قلة النقود فحرر لزوجته بوصيها بالتدبير والتقدير ويعرفها بان مصروفه في الشهر لا يتجاوز مائة فرنك واقبل على التحرير والتأليف وهو يستشيط غضباً فنشر كتابه « نابوليون الصغير » وكان اول ساعة من الصواعق التي رماه بها ثم نشر « تاريخ جرم » فتهاقت الناس في فرنسا وعموم اوروبا على مطالعة هذين الكتابين فتمنع نابوليون دخولها لمالكه وامر سفيره في بروكسل بان يطلب من حكومة البلجيك ابعاد فيكتور هوغو عنها فلم تجسر الحكومة على ذلك الا بعد اخذها قرار مجلس النواب فدعته للخروج فذهب الى جزيرة جرسى التابعة لانكلتره وهي جزيرة في بحر المانش بين فرنسا وجزائر بريطانيا العظمى وجلب اليها عائلته وكانت حبيته جوليت سبقتها واقامت معه في بروكسل وشاركته في السراء والضراء وكان في ضيق من جهة المعاش ولم يكن معه الا سبعة آلاف فرنك فعرفّ الجوع بقوله « ان المخصصة نثقب في قلب الانسان ثقباً وتلاهُ بالحدق » ونشر كتاب « القصاص » سنة ١٨٥٣ وكان ساعة على نابوليون اشد من الاولى وراج رواجاً عظيماً في فرنسا واوروبا وريح ملتزم طبعه في بروكسل رجماً وافرأ لم يعد منه على المؤلف الا اليسير

ولم يزل نابوليون الثالث يضطهد رجال الحزب الجمهوري وينفهم من الارض فعارضه فيكتور هوغو ونظم عدة قصائد في وصف حالة اولئك المضطهدين الذين اخرجوا من ديارهم ظالماً وعدواناً فطلب سفير فرنسا في لوندرا اخراج هوغو من جزيرة جرسى وابعاده فأخرجته الحكومة الانكليزية ارضاء لتابليون ولكنها لم تضيق عليه فذهب الى جزيرة كيرنيزي وهي بجوار الجزيرة الاولى في بحر المانش وتابعة مثلها للانكليز واشترى فيها داراً خربةً مهجورةً مبنيةً على صخرة عالية مطلة على الاوقيانوس المحيط وتسمى « هوت فيل هوس » فرمها وسكنها واتخذ الطبقة العليا منها غرفة لاعماله فكان يشتغل فيها بالنظم والتأليف ويفكر في ثقلبات الدهر واحوال العالم وبصره شاخص الى لجة البحر المحيط وكان

يعينه في التحرير والمطالعة ابناه وزوجته وصاحبه الشاعر اوغست فاكيري فنشر سنة ١٨٥٦ كتاب التأمّلات وعرفه بإسماحات البال ثم اخذ يسلي همومه بمطالعة اخبار المتقدمين ودرس سير الانسان في مدارج الترقى والعمران فنشر القسم الاول من كتاب « سير الدهور » سنة ١٨٥٩ ثم الف قصته الشهيرة المترجمة « بالبؤساء » وكان له صديق حميم وهو موسيو لوقروا ناظر البحرية في الوزارة الفرنسية السابقة اي وزارة الموسيو ميلين فكان هذا الاديب يعين الشاعر على طبع مؤلفاته في البلاد الاجنبية فلما بعث اليه بالمجلدين الاولين من كتاب البؤساء باعها للمترجم الطبع في انكلترة بمبلغ قدره ١٢٥ الف فرنك ذهب انكليزي ولما نشر هذا الكتاب سنة ١٨٦٢ اقبل المترجمون على ترجمته ونشروه في سبع لغات من لغات اوروبا في آن واحد وكان اصحاب المطابع تستدعي الموسيو لوقروا من جميع الجهات في انكلترة والمانيا والنمسا ليشتروا منه حق الترجمة والطبع ولما ذهب الى لوندرا عند الكتيبي الشهير في بترنوسترود سألته بعنف : —

— كم تطلب بحق نشر كتاب البؤساء في اللغة الانكليزية ؟ : — فأجابه

— ثلاثة آلاف ليرة انكليزية . فتناول دفتر الشك وحرر المبلغ والاسم وقال له

— خذ نحن على وفاق

فسعد حال فيكتور هوغو من جهة المعاش وذهب عنه الضيق فنظم داره وغرس ارضها بالاشجار والرياحين وطار ذكره في العالم المتمدن وقصده الزوار وكتبه الرجال وكان البعض يجر عنوانه « فيكتور هوغو في الاوقيانوس » فكانت المكاتيب تصله بهذا العنوان المبهم لسعة شهرته . واشتهر اسمه لاقتارانه باسم نابليون وكبره البعد والاعتزال في تخيلات الناس حتى اعتقدوه من اكبر العقول البشرية وكانت العيون ترقب طلوع مؤلفاته كما ترقب شمس الشتاء . وفي سنة ١٨٦٤ نشر كتاب « وليم شكسبير » في الفلسفة وبعدها بسنة نشر ديوان « اغاني الشوارع والاحراج » وفي سنة ١٨٦٦ نشر قصة « المشتغلين في البحر » ووصف فيها ما يكابده الفلاحون من المشاق وما يتورطون فيه من الاخطار . وفي سنة ١٨٦٩ نشر قصة « الانسان الضاحك » . ولم يأل جهداً وهو في تلك الجزيرة عن الانتصار للاقوام الذين غدر بهم الزمان ورهأهم سوء الطالع بالخسران وفعل ما فعله فولتير وهو في فيرين فدافع عن عصاة ايرلانده وعن مكسيميليان امبراطور المكسيك وهو أخ امبراطور النمسا اغراه نابليون الثالث على لبس التاج وامده بالعساكر الفرنسية التي تم تخلي عنه فخاكه المكسيكيون وقتلوه



فيكتور هوكو وحفيده

ثم ان المسائل العائلية اخلت براحة الشاعر واقفلت افكاره وذلك ان ابنته عاذلة احبت قومندان المركب المحافظ على الجزيرة وتزوجت به رغماً عن والدها وذهبت معه الى الهند منشأ الطاعون ومهب الريح الاصفرفمات فيها وعادت انرانسا تختهلة الشعور سنة ١٨٧٣ فادخلوها البمارستان مثل عمها وهي التي ورثت اباها . وفي سنة ١٨٦٨ توفيت زوجة فيكتور هوكو في بروكل بعد ان كتف بصرها وذهب ابناه في السنة التالية الى باريس مع صاحبها اوغت فاكيري لينشئوا فيها جريدة « رابل » وبنددوا بالحكومة الامبراطورية وذهب فيكتور هوكو الى بلاد سويسرا ليحضر مؤتمر لوزان ويخطب فيه خطبته المشهورة . ولما جرت الانتخابات في اوائل سنة ١٨٧٠ نشر فيكتور هوكو رسالة اعتراضية عنوانها « لا » ثم انتشبت الحرب بين فرانس وبروسيا ودارت الدائرة على نابليون الثالث فسلم سيفه في ميدان القتال الى ملك بروسيا وطار الخبر الى باريس فاجتمع رؤساء الحزب الجمهوري في دار البلدية واعلنوا الحكومة الجمهورية مكان الامبراطورية في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وهي حكومة الجمهورية الثالثة الحالية ولم يعد مانع انفيكتور هوكو من الرجوع الى فرانس . وبذلك انتهت أيام نفيه

الدور الثالث من حياة فيكتور هوغو وهو دور شيخوخته أي من رجوعه

الى فرانس سنة ١٨٧٠ الى وفاته سنة ١٨٨٥

بعد ان أقام فيكتور هوغو في منفاه ثماني عشرة سنة عاد الى باريس مع من عاد من اركان الحزب الجمهوري واستقبله احباً واهل واشياعه وانزلوه على الرجب والسعة فخر خطاباً بليغاً الالمانيين يحضهم فيه على الصالح وترك الحزب وكان من رايه السياسي وضع اتفاق بين الامة الفرنسية والبروسية ونقسم البلاد بينهما فلم يصغ الالمانيون لخطابه وظلوا هاجمين حتى بلغوا خنادق باريس والقوا الحصار عليها فترك فيكتور هوغو القلم من يده وامسك السيف وانتظم في سلك الجنود المحافظين من الاهالي ودافع عن اوطانه وتآلم بآلام اخوانه . ولما احتلت العساكر البروسانية باريس هاجر منها اهلبا واتخذت الحكومة الجمهورية مدينة بوردو مركزاً لها عوضاً عن باريس . وانتخب ابالة السين فيكتور هوغو مبعوثاً لها في مجلس النواب فلما قام يخطب عارضه اصحاب اليمين واكثروا اللغظ وابوا الاصات له فقال لهم « منذ ثلاثة اسابيع رفض المجلس الاصغاء لغاربالدي واليوم يرفض الاصغاء لي فاقدم استعفائي » وغاربالدي هو من القواد الذين حاربوا لاجل استقلال ايطاليا وهاجم رومة العظمى وانتزعها من يد البابا وسلمها الى ملك ايطاليا ليتخذها عاصمة لملك فلما انتشبت الحرب بين فرانس وبروسيا دخل متطوعاً في العسكر الفرنسي ودافع عن فرانس اشد المدافعة فانتخب مبعوثاً في مجلس النواب مع كونه طالباً في الاصل وكانت الاكثريه في المجلس من حزب الملوكين والرهبانين فاتهموه بالكفر والاحاد لتجاوزه على رومة ونزعه سلطة البابا منها ولذا لم يصغوا لكلامه . وفي ذلك التاريخ اعيد طبع كتاب « القصاص » نكلاً من حزب الادهراطورية وكان يباع بالمائة الف نسخة معاً . ولما كان ابن فيكتور هوغو المسمى شارل في بوردو دخل عند صاحبة له يقضي ليلته فتوفي فجأة في فراشها وحزن ابوه حزناً شديداً فجاء بجثته الى باريس ودفنها يوم حدوث ثورة الكومين وانعطف بالحنو والرأفة على ولديه الاصغرين وهما جورج وجان وبالغ في دلالها حتى اثر هذا الدلال في اخلاقها واصبحت جان لا تستطيع معاشره زوجها حتى ظلمها لشدة ميلها الى اللهو والخلاعة وبعد وفاة شارل تزوج الموسيو لوقروا بزوجه لتربية الولدين لاجياء بيت فيكتور هوغو فتنهه الشاعر واحبه حباً شديداً

ولزم فيكتور هوغو الحيادة في المسائل السياسية لحزنه على ولده وفلذة كبده غير انه لم يطق الصبر على ماشاهده من فظائع الرعاع فلما هم على قلبهم العمود المنصوب لنا بليون الاول

كلام حكومة فرسايل على اطلاقها القنابل على قنطرة النصر المنصوبة له وبراً نابوليون الاول مما جناه ابن اخيه على البلاد من الحرب التي جلبت عليهم الويل والدمار وذهب هو كوا في اثناء تلك المعامع الى بروكسل والى لوندرة ونشر كتابه المعنون بالسنة المهولة وشدت فيه التكبير على دخول الاجانب لفرانسا وعلى الفظائع التي اجراها الرعاع والسفلة وهم الكومين . ثم عاد فيكتو هو كوا لباريس وانشأ فيها جريدة سماها « الشعب الحاكم » وجعل ثمنها خمسة سنتيمات لكل نسخة ليتمكن الفقراء من مطالعتها . ولم يهدأ بال الشاعر برجوعه لوطانته واجتماعه على احبائه وخلائه الا واصيب بموت ابنه الثاني فرانسوا فصر على مصائب العمر ونكبات الزمان وسلم الامر لله لانه كان من الموحدين وعكف على النظم والنثر فنشر سنة ١٨٧٤ قصة عنوانها « ثلاث وتسعون » وتكلم فيها عن الانقلاب الفرنساوي الكبير . وفي سنة ١٨٧٥ انتخب فيكتور هو كوا عضواً للمجلس الاعيان ( سينا ) فجلس في نهاية اصحاب الشمال ولم يتكلم في المجلس الا قليلاً مثل طلبه العفو عن تجرني الكومين — والكومين هم القوة المحزبة او الادارة العرفية التي تتشكل في العاصمة وتحدث انقلاب الدولة ويحصل بسبب ذلك من تعدي الرعاع وتسلط السفلة ما تقشعر من سماعه الجلود . وقد تأسست هذه الادارة المرهبة في باريس مرتين احدهما سنة ١٧٩٢ والاخرى سنة ١٨٧١ واستمرت هذه السنة من ١٨ مارس الى غاية مايو وجرى في اثناء ذلك كثير من التعديت والمظالم فكان فيكتور هو يشير في المجلس بالعفو عما مضى ولم يظهر له اقتدار كبير في السياسة ولا في فن الخطابة مثل غامبتا وامثاله من فحول السياسيين وانما صرف كل قواه في الاشتغال بعلوم الادب والتاريخ ونشر « الاقوال والاعمال » و « اولادي » و « معرفة ما يكون به الانسان جدياً » وفي سنة ١٨٧٧ نشر القسم الثاني من « سير الدهور » و « الاملاك العمومية التي تدفع الرسوم » ونشر من سنة ٧٨ الى سنة ١٨٨١ اربع منظومات فلسفية وهي « البابا » و « الرحمة العالية » و « الاديان والدين » و « الحمار »

وحاز في شيخوخته احتراماً كبيراً وثروة عظيمة زادت على ثلاثة ملايين فرنك ولما بلغ الثمانين من عمره احتفل به اهالي باريس احتفالاً عظيماً وزينت له المدينة في ٢٦ شباط سنة ١٨٨١ ووفد عليه المهتمون من جميع الولايات والنواحي واكثر الممالك الاجنبية فاستقبلهم وهو واقف بين حفيده جورج وحفيدته جان وكان مغرمًا في حبهما وفي حب جميع الاطفال وقد خصهم بالذكر في اشعاره وتغزل بهم ولذا كان في جملة الوفود المهتمين وفد من اجمل الاطفال الصغار يحملون له باقات الازهار . ولم يبق احد في باريس الا ومراً بيبابه

وصاح جمهورهم بالدعاء له فوقف في نافذته وحياهم كما يحيي الملك شعبه ودموعه تذرف من شدة التأثر والاشفاق . وكان مشاهير الرجال وامراء الناس واعيانهم كلما جاؤا باريس زاروه في داره وحضروا مجلسه . وكان في جملة من زاره امبراطور البرازيل فكان الاحتفال ببلوغه الثمانين من اجمل الاحتفالات التي لم يسبق مثلها الا للشاعر الفيلسوف فولتير قبل موته بقليل . ونشر فيكتور هوغو في آخر ايامه منظومة طويلة سماها « رياح العقل الرابع » ورواية « توركاده » والقسم الثالث من « سير الدهور » و « ارخبيل بحر المانش » وغير ذلك من الآثار التي نشرت بعد وفاته وسيأتي وصفها في اواخر هذا الكتاب ولما توفي فيكتور هوغو سنة ١٨٨٥ لبست باريس عليه اثواب الحداد والتبس فيها الامر على الغرباء حتى لم يعلموا هل القوم في مأتم عظيم ام في عيد كبير وحيء بجثته فوضعت في تابوت عال تحت قنطرة النصر بعد ان كسيت بالسواد وزينت بالازهار والرياحين واصطف الشعراء حولها صفوفاً واحتاط بهم الفرسان يحملون بأيديهم المشاعل وسهروا عليه طول ليلتهم والناس يمرون امام تابوته افواجاً افواجاً ولما اصبح الصباح اجتمعت الجموع وزينت الصفوف وكانت اكثر المدن الفرنسية والممالك الاجنبية قد بعثت بالوفود والاكايل فحملوا الجنازة من تحت قنطرة النصر الى البانتيون وصار له مشهد لم يسبق لشاعر قبله ولا لفولتير . وكانت وصية هوغو ان لا يحضر جنازته راهب ولا احد من الاكليروس وان يدفن كالفقراء . ولذا كانت العربية التي حملوه عليها من عربات الفقراء لا تناسب دبابة هذا الاحتفال ولم يجر له احتفال ديني بل كان الاحتفال بجنازته اهلياً . اه

